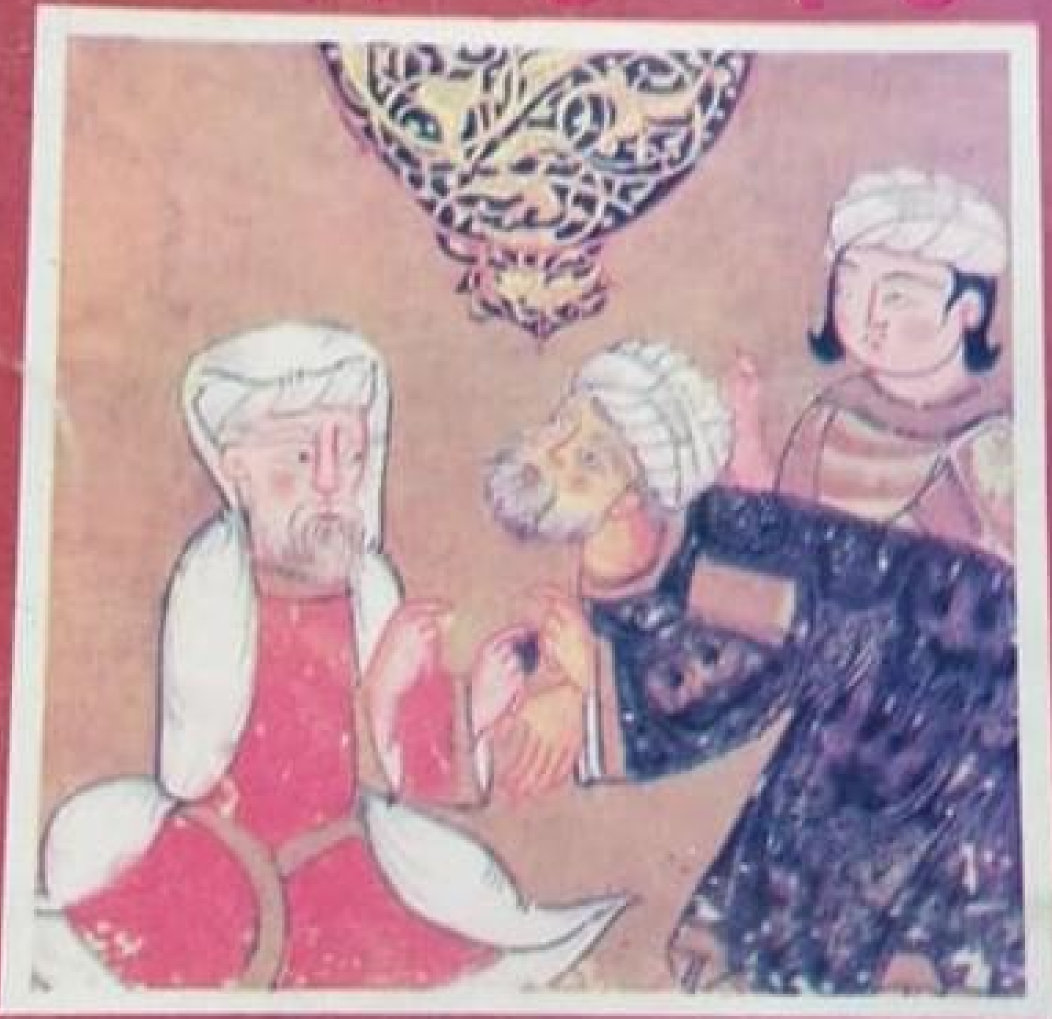
رسوم الدولة ببغداد



في العصر العباسي

ميخائيل عواد


وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد - ١٩٩٣



رسوم الدولة ببغداد في العصر العباسي

تأليف

ميخائيل عواد





الطبعة الاولى ـ ١٩٩٣

٧٠٩و٠٤
ع ٩٢٤ عواد ، ميخائيل
رسوم الدولة ببغداد في العصر العباسي/ تاليف
ميخائيل عواد . بغداد : دار الشؤون الثقافية
العامة ، ١٩٩٣ .
٤٨ ص ؛٢٤سم
١ ـ الفنون الاسلامية ـ تاريخ ـ العصر العباسي
٢ ـ الرسم ـ تاريخ ـ العصر العباسي أ . العنوان

م ٠ و
١٩٩٣/١٣٢

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغـــداد ١٣٢ لسنة ١٩٩٣

رسوم(*) الدولة ببغداد
في العصر العباسي

تأليف : ميخائيل عواد

(*) الرُسُوم . جَمْع رَسْم . ويُراد بها ها هنا معنيان :

الاول : مجموع العادات المُتّبَعَة في مُقابلة الناس ، أو معاملتهم في شؤون الألفة . وهذا ما يُعْرَف في الفرنسية بلفظة « إتيكيت ETIQUETTE » .

الثاني : مجموع الإحتفاء بالناس في أمور السياسة والقيام بها . وفي مقابلة رؤساء الجمهوريات والملوك وعظام الدُوَل . وهذا ما يُعْرَف في الفرنسية بلفظة « پروتوكول PROTOCOLE » .

رسوم الدولة ببغداد
في العصر العباسي

بقلم : ميخائيل عوّاد

تصدير

أوردنا في هذا البحث طائفة من « الرُسُوم » التي أُتُّبِعَت في دار الخلافة العبّاسية ببغداد ، يوم كانت بغداد مركز الخلافة ، وأُمّ الدنيا ، وسيّدة البلاد : سعةً وعمارة ، وكثرة مياه ، وصحّة هواء . ضَمّت المباني الفخمة من قصور ودور ، تعجّ بالناس على طبقاتهم .

وحين كانت وفود الملوك ورسلهم ، تفد الى بغداد ، من أقطار الأرض . فتُزَيَّن دار الخلافة بأبْهى زينة وأكْمل عدّة ، لاستقبال هؤلاء الضيوف ، والإحتفاء بهم .

فهذه الأمور ، وما جَرَى مجراها من أحوال الخلفاء في مجالسهم ، ومواكبهم ، ومُسايرتهم ، وفي مقابلتهم ، ومكالمتهم ، وجلوسهم ، ولبسهم ، وما يَتَرتّب من آداب الخدمة ، والحِجابة وقوانينها . كلّ هذه ، يضمّها تعبير شامل هو « الرُسُوم » .

و « الرُسُوم » جَمْع « رَسْم » . وهي ذات معنَيين :

الأول : مجموع العادات المُتّبَعَة في مقابلة الناس أو معاملتهم في شؤون الأُلْفة . وهذا ما يُعْرَف في الفرنسية بلفظة « إتيكيت ETIQUETTE » .

الثاني : مجموع الإحتفاء بالناس في أمور السياسة والقيام بها . وفي مقابلة الملوك وعظام الدُوَل . وهذا ما يُعْرَف في الفرنسية بلفظة « پُرُوتُوكُول PROTOCOLE » .

لم يرد هذان المعنيان في كُتُب اللغة[1] ، مع استعمالهما منذ صدر العهد العبّاسي[2] . فهما مِن المستدرك على المعجمات العربية[3] .

---

(١) كَتَب محمد محمّدي ، مقالًا بعنوان « كُتُب آئين نامه ، والمقاطع الباقية منها في المصادر العربية » : (مجلة « الدراسات الادبية » ١ [بيروت ١٩٥٩] ع ٢ و ٣ ، ص ١٥ ـ ٣٩) .

(٢) انظر : (« شفاء الغليل » ص ١٨) .

(٣) راجع : مادة « رَسْم » في (« تكملة المعجمات العربية » : لدُوزي (١ : ٥٢٧ ـ ٥٢٨) .

١ ـ جُلوس الخلفاء ، وما يَلْبَسُونه في المواكِب ، ويَلْبَسه الدّاخلون عليهم مِن الخواصّ وجميع الطوائف

قال أبو الحسين هلال بن المُحَسِّن الصابىء[٤] : « الذي جَرَت به العادة ، أن يكون جلوس الخليفة على كرسيّ مرتفع ، في دَسْت[٥] كامل أرمنيّ[٦]، أو خَزّ[٧]. وأن يكون فَرْش جميع المجالس أرمنياً في صيف وشتاء ، ويكون لباسه قَباءً[٨] مُوَلَّداً أسْوَدَ ، إمّا مُصْمَتاً[٩] أو مُلْحَماً[١٠] ، أو خَزّاً . فأمّا الدِّيباج[١١] والسَقْلاطُون[١٢]

---

(٤) تولّى « ديوان الإنشاء » بدار الخلافة العباسية ببغداد ، فتيسّر له ان يقف على شؤون تلك الدار من رُسوم ، وما كان داخل أسوارها من خبايا وخفايا وأسرار ، ويستقرىء أبنيتها ومجالسها ودُورها ومسالكها وصحونها وخزائنها ودواخلها وغوامضها ، فأتيحت له معرفة أحوال الخلفاء ، فعرف عاداتهم وأخلاقهم ، ورُسومهم في الملبس والماكل والمشرب ونحو ذلك .

(٥) الدَّسْت . ج : الدُّسُوت : ما يُهيَّأ لجلوس الخليفة عليه ، أو الامير ، أو الوزير ، وكبار الناس .

(٦) اشتهرت إرمينية بعَمل نسيج من خالص الحرير يُقال له الارمنيّ .

(٧) الخزّ من الثياب ما يُنسج من صوف، وإبريسم . ج : الخزوز .

(٨) القَباء . ج : الاقبية : ثوب يُلبس فوق الثياب ، يسمّيه أهل العراق « الزبون » .

(٩) المُصْمَت : ثوب لا يُخالط لونه لون .

(١٠) المُلْحَم من الثياب : ما كان سَداه إبريسم ، أي حرير ابيض ، ولحمته غير إبريسم .

(١١) الديباج : ثوب رقيق حسن الصنعة . وهو المعروف اليوم عند العراقيين بـ « القَنَوِيز » .

(١٢) السَقلاطُون (بفتح السين وكسرها) : لفظة يونانية ، يراد بها =

أو المَنْقُوش فلا . ويَجْعَل على رأسه مُعَمَّمَة سوداء رُصَافِيَّة[١٣] ، ويَتَقَلَّد سيف[١٤] النبيّ ﷺ ، ويَجْعل بين مخدَّتَي الدَّسْت عن يساره سيفاً آخر ، ويَلْبس خُفّاً أحمر[١٥] ، ويضع بين يَديْه مصحف عثمان رحمة الله عليه ، الموجود إذ ذاك في الخزائن ، وعلى كتفَيْه بُرْدَة[١٦] النبيّ ، صلوات الله عليه ، ويُمْسِك بقضيبه[١٧] . ويقف الغلمان الدَّارِيَّة[١٨] والخدم الخاصَّة والبَرَّانية[١٩] مِن خلف السرير

= نسيج من الحرير مخلوط بغزل الذهب . وقد اشتهرت بغداد بصنعه . فقيل : سَقْلاطُونيّ بغداد .

(١٣) الرُّصافِيَّة : قَلَنْسوَة طويلة عالية . كان يلبسها الخلفاء العبّاسيون ، ومن ينتمي اليهم .

(١٤) هو « ذو الفقار » أشهر أسياف النبيّ . غنمه يوم معركة بدر ، فكان سيفه المفضَّل الذي لا يفارقه في حرب من حروبه . راجع (« السيف في العالَم الإسلامي » ص ٤٠ - ٤٢) .

(١٥) قال هلال الصابىء (« رسوم دار الخلافة » ص ٧٥) : « وممّا ينكر ، دخول الداخل الى دار الخلافة بنَعل او خُفّ أحمر ولالَكَة حمراء ، لأنّ الاحمر لباس الخليفة ، ويعده الخوارج عن الطاعة » .

(١٦) إن « بُرْدَة النبيّ » التي كان الخلفاء يلبسونها في المواكب والاحتفالات ، كانت شَمْلَة مُخطَّطة ، وقيل كانت كساءً أسود مُربّعاً فيها صِغَر . راجع : (« الآثار النبوية » ص ١٢ - ٢١) .

(١٧) « قضيب الخلافة » : عُود كان النبيّ ياخذه بيده . وهو ثالث علامات الخلافة ، فاذا تولّى الخليفة جاؤوه بالبُرْدة والخاتم والقضيب .

(١٨) هم المختصُّون بملازمة دار الخلافة وحماية الخليفة .

(١٩) الموالي البَرّانية هم الذين يخدمون قصر الخليفة في خارج القصر ، وليسوا متعلّقين بخدمة سيّدهم في قصر الخليفة .

وحواليه متقلّـدين السيوف ، وفي أيـديهم الطَّبَرْزِينـات[٢٠] والدَّبابيس[٢١] ، ويقوم من وراء السَّرير وجانبَيْه خَدَمٌ صَقَالِبة[٢٢] يَذبُّون عنه بالمذابّ[٢٣] المُقَمَّعَة[٢٤] بالذهب والفضّة ، ويُمَدّ في وجهه ستارة ديباج إذا دَخَل الناس رُفِعت . وإذا أُريد صَرْفهم مُدَّت . ورُتِّب في الدار وبحيث يقرب من المجلس خَدَم بأيديهم قِسِيّ البُنْدُق[٢٥] ، يرمون بها الغربان والطيور ، لئلّا ينعب ناعب ، أو يُصَوِّت مُصَوِّت » .

« فأمّا العبّاسيون مِن أرباب المراتب ، فزيُّهم السَّواد بالأقْبية المُوَلَّدة[٢٦] والخِفاف . ولهم مَنَازِل في شَدّ المَنَاطِق[٢٧] والسيوف وتقلّدها . اللهمّ إلّا أن يكون منهم مَن قد ارتسَم بالقضاء ، فله أن

---

(٢٠) الطَبَرْزِينات ، واحدها الطَبَرْزِين : ضرب من الفؤوس ، كان من آلات القتال القديمة . يُعْرَف عند أهل بغداد اليوم بـ « الطَبَر » .

(٢١) الدُبابيس ، مفردها الدُبُّوس : من آلات الحرب ، يحملها الفرسان في السروج تحت أرجلهم ، ويتقاتلون بها بعد التضارب بالسيوف والرماح . وتُصْنَع عادة من الحديد .

(٢٢) الصَقالِبة : غلمان كان النَخّاسون يحملونهم مِن شمالي أوربة ، يَتَّجرون ببَيْعهم في أنحاء العالَم .

(٢٣) المَذابّ ، جَمْع مِذَبّة : وهي ما يُذَبّ به الذباب . وقد عُدَّت من الآلات الملوكية . ولها أرباب من الناس مختصُّون بحمْلها في المواكب والحفلات .

(٢٤) المُقَمَّعة : اسم مفعول من قمعه يقمعه . ومعناه : غشاه بقمع . وهو مستدرك على المعجمات .

(٢٥) طين مُدَوَّر كالبُنْدُق ، يُرْمَى به عن القَوْس .

(٢٦) المُوَلَّد : أي مُسْتَحْدَث . ولم يكن مِن استعمال القوم فيما سبق .

(٢٧) المَناطِق ، واحدتها المِنْطَقة : ما يُشَدُّ في الوسط . وعنها يُعَبِّر أهل زماننا بـ « الحِياصَة » .

يَلْبَس الطَيْلَسان[٢٨] . وأمّا قضاة الحضرة[٢٩] ، ومَن أهَلَ للسَّوَاد من قضاة الامصار والبلاد ، فبالقُمُص والطَّيالسة والـدَّنِّيَات[٣٠] والقَرَاقِفات[٣١] . وقد تُرِكت الدَّنِّيَات والقَرَاقِفات في زماننا[٣٢] ، وعُدِل الى العمائم السُّود المَصْقُولة . وتَطَرَّف قوم فلبسوا القَصَب[٣٣] والخزّ الأسْوَد ، ولا أرى القَصَب إلّا أن يكون بغير

---

(٢٨) الطَّيْلَسان : كساء أخضر ، لحمته او سَداه من صوف . يلبسه الخواصّ من العلماء والمشايخ والقضاة . ج : الطَّيالِسة .

(٢٩) أراد بالحَضْرَة : عاصمة الخلافة ، اي بغداد .

(٣٠) الدَّنّـيَات ، جمع الدَّنِّيَة : قَلَنسوة بشكل الدَنّ ، مُحَدَّدَة الاطراف ، طولها نحو شبرَين ، تُتَّخذ مِن ورق وفضّة على قَصَب (عيدان) ، وتُغشّى بالسواد ، كان يلبسها القضاة في العصور الاسلامية ، كما كان يلبسها الخطباء والاكابر احياناً ، راجع مقالنا : « دَنِّيَة القاضي في العصر العبّاسي » (مجلة « الرسالة » ١٠ [القاهرة : ١٩ و ٢٦ اكتوبر ، و ٣٠ نوفمبر ١٩٤٢] ع ٤٨٥ ، ص ٩٧٩ ـ ٩٨١ ؛ ع ٤٨٦ ، ص ١٠٠٦ ـ ١٠٠٧ ؛ ع ٤٩١ ، ص ١١١٠) .

(٣١) القَرَاقِفات ، جمع قَرَاقِف . وقَراقِف جمع قَرْقَفة ، وهي من القلانس المستديرة الضخمة التي تُلْبَس في الرأس ، وكانت من ملبوس الفقهاء والقضاة في عهد العباسيين . والكلمة إرَمِيّة من « قَرْقَفْتا » . انظر : (« دليل الراغبين في لغة الآراميين » ص ٧٠٩) .

(٣٢) المتكلِّم هو : هلال بن المُحَسِّن الصابىء : (٣٥٩ ـ ٤٤٨ هـ = ٩٧٠ ـ ١٠٥٦م) .

(٣٣) القَصَب : هنا ثياب كتّان رقاق ناعمة . وغالَى بعضهم فأدخل فيه مطـروق الذهب والفضّـة . فكان منـه مـا نسمّيـه اليـوم بـ « الكَلَبْدُون » .

طُرُز[٣٤] ، وأمّا أولاد الأنصار ، فبالثياب والعمائم الصُفْر . ولم يَبْقَ منهم في هذا العصر كبير أحَدٍ . وأمّا الأمراء والقُوّاد فبالأقْبِية السُود مِن كلّ صِنْف ، والعمائم على هذا الوصف . وفي أرجلهم الجوارب واللّالَكَات[٣٥] السُود مَشْدُودة بالزَنانير[٣٦] . هذا حُكْمهم يُرَاعى أمْره . فأمّا مَن سواه فممنوعون من السَواد ، محمولون على اختايرهم في الألوان ، ما خلا الإسترسال والتَبَذّل وتَرْك القانون الأول »[٣٧].

٢ ـ آداب خدمة الخلفاء والملوك[٣٨]

قال هلال الصابىء : « إذا دَخَل الداخل الى حضرة الخليفة ، مِن أميرٍ أو وزير ، أو ذي قَدْر كبير ، فلم يكن من العادة القديمة أن يُقَبّل الأرض ، لكنّه إذا دَخَل[٣٩] ورأى الخليفة ، قال : السلام عليكَ أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، بكاف المُخَاطَب ، فانّه أشْفَى

---

(٣٤) الطُرُز ، جمع الطِّراز : الثوب المُوَشّىٰ ، أي مُوَشّى بخطوط معترضة . كان يلبسه الخلفاء والملوك والسلاطين والامراء وذوو المناصب العالية في الدولة . انظر : (« المُغـرِّب » ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤) .

(٣٥)اللّالَكَات ـ وتُجمع أيضاً على اللُوالِك ـ واحدتها : اللُالَكَة : ضَرْب من الاحذية ، ثخين وضخم . والنسبة الى صانعها او بائعها : اللُالكائي .

(٣٦) المراد بها هنا : الرباط الذي يربط اللُالَك .

(٣٧) (« رُسوم دار الخلافة » ص ٩٠ ـ ٩٢) .

(٣٨) (« رسوم دار الخلافة » ص ٣١ ـ ٧٠) .

(٣٩) راجع : (« آثار الأُوَل في ترتيب الدُوَل » ص ٦٠) : الكلام على « آداب الدخول على الملك ومخاطبته ومجالسته » .

وأبلغ وأوْلى وأوْقع . ومتى سلّم بالكناية ، جاز أن يكْني في قوله .
فمن ها هنا وَجبَت الكاف ، وربّما تقدّم الوزير أو الأمير فأعطاه الخليفة يده مُغشّاة بكُمّه إكراماً له بتقبيلها واختصاصاً بهذه الحال الكبير محلّها . والعلّة في أن يُغشّيها بكُمّه لئلّا يباشرها فم أو شفة ، وقد عُدِل عن ذاك الى تقبيل الأرض ، واشترك اليوم فيه كلّ الناس . فأمّا وُلاة العُهود مِن أولاد الخلفاء والأهل مِن بني هاشم والقضاة والفقهاء والزهّاد والقُرّاء ، فما كانوا يُقبّلون[40] يداً ولا أرْضاً ، لكنّهم يقتصرون على السلام كما ذكرنا ، وربّما خَطَب قوم منهم بثناء ودُعاء . وقد اختلطوا الآن بالطائفة التي تُقبّل الأرض ، إلّا الأقلّ مِمّن أقام على التورّع من هذا الفعل[41] . وأمّا أوساط الجند ومَن دونهم وعوامّ الناس ومَن لا تبة له منهم ، فمنكَر منهم تقبيل الأرض ، لأنّ منزلتهم تقصر عن ذلك . ومِن أولَى الأفعال بالوزراء ومَن هو في طبقتهم ، أن يدخل الى حضرة الخليفة نظيفاً في بزّته وهيئته ، وقوراً في خَطْوه ومِشْيته ، مُتَبَخّراً بالبخور الذي تفوح روائحه منه وينفح طيبه مِن أردانه وأعطافه ، وأن يتجنّب منه ما يعلم انّ السلطان يكرهه ويأبَى شمّه »[42].

---

(٤٠) قال العُتبي : « دخل رجل على هشام بن عبدالملك ، فقبّل يده . فقال : أفٍّ له ! إنّ العرب ما قبّلت الايدي إلّا هلوعاً ، ولا قبّلتها العجم إلّا خضوعاً » : (« العقد الفريد » ٢ : ١٢٨ ـ ٤٤٧) .

(٤١) ذكر الجاحظ (« التاج في أخلاق الملوك » ص ٧) : « إنْ كان الداخل من الاشراف والطبقة العالية ، فمن حقّ الملك أن يقف [الداخل] منه بالموضع الذي لا يناى عنه ولا يقرب منه ، وأن يُسلّم عليه قائماً ، فإنْ استدناه ، قرب منه » .

(٤٢) (« رسوم دار الخلافة » ص ٣٢) .

ومِن آداب الخدمة أيضاً « أن يواصل السِواك[43] ، ويَخفظ لَهَواته عند المناجاة والمحاورة ، ويجعل بين ثيابه شتاءً وصيفاً جُبَّة فيها قطن يمنع من ظهور العرق » .

« وليس للوزير ولا حاضر في ذلك الموقف أن يذكر شيئاً إلّا ما يُسْأل عنه ، أو يورد قولًا في أخبار أو مطالعة إلّا ما استأذن فيه . وسبيله أن يخفض صوته في حديثه ومحاورته[44] ، ولا يرفعه إلّا بقدر السماع الذي لا يحتاج معه الى استفهامه واستعادته[45] . وسبيله[46] أن يقلّ الإلتفات الى جانبَيْه وورائه ، والتحريك ليده أو

---

(٤٣) السِّواك : العُود الذي تُدلَك به الاسنان . فهو مطهرة للفم . وكتب السيّد محمود شكري الالوسي ، بحثاً بشان « السّواك » . عُني بنشره محمد بهجة الاثري : (مجلة « الحرية » ١ [بغداد ١٩٢٤] ج ١ ـ ٢ ، ص ٦٧ ـ ٧٠) .

(٤٤) ذكر الجاحظ (« التاج » ص ٦٩) انّ « من حقّ الملك ان لا يرفع أحد صوته بحضرته . لانّ من تعظيم الملك وتبجيله خفض الاصوات بحضرته » .

وانظر : (« سلوك المالك في تدبير الممالك » ص ٨٨ ، ٨٩) ، (« قانون السياسة ودستور الرياسة » ص ٣٠ ، خ) ، (« المنهج المسلوك في سياسة الملوك » ص ٩٨) ، (« محاضرات الادباء » ١ : ١١٧) .

(٤٥) ممّا جاء في كتب الرُسُوم : انّ « مِن حقّ الملك ان لا يعاد عليه الحديث مرّتين وإنْ طال بينهما الدهر وغبرت بينهما الايّام . وكان رَوح بن زِنْباع يقول : أقمتُ مع عبدالملك سبع عشرة سنة من أيامه ، ما أعدْتُ عليه حديثاً » . انظر : (« التاج » ص ١١٣ ـ ١١٥) ، (« سلوك المالك » ص ٨٩) ، (« آثار الأوَل » ص ٦١) .

(٤٦) أي سبيل الوزير ، او الجليس ، او النديم .

شيء مِن أعضائه ، أو رَفع رِجل للإستراحة عند أعيانه ، وأن يغضّ طَرْفه عن كلّ مَرأىً إلّا شخص الخليفة وحده ، ومخارج لَفظه ، وألّا يُسارّ أحداً في مجلسه ، ولا يُشير اليه بيده ولا عينيه ، ولا يقرأ رقعة ولا كتاباً يوصلان اليه بين يَدَيْه إلّا ما احتاج الى قراءته عليه ، وأذن له فيه ، ولا يخاطب مَن يُخاطبه في تعرّف أمر منه ، أو إقامة حجّة عليه ، إلّا بأخفّ الألفاظ وأشدّ الإستيفاء . وأن يجعل وقوفه مِن أوّل مدخله والى حين مخرجه في موضع رتبته ، من غير أن يتجاوزه الى ما فوقه أو دونه ، اللهمّ إلّا أن يدعوه الخليفة الى سرّ يقرب منه فيه ، ولا يبرح ما دام مُكَلِّماً له ، ومُقْبلاً عليه ، ولا يقيم إذا فرغ ممّا بينه وبينه . واذا خرج وهو يشاهده ، جعل خروجه تراجعاً الى ورائه لئلّا يولّيه ظهره ، فاذا غاب عن طَرْفه استقام في مَشْيه . وأن يمتنع من الضحك وإنْ جَرى ما يوجبه ، فإنّ مَن كثر ضحكه سخفت هيئته ، ومَن زاد مرحه سقطت هيبته ، ومَن فضل كلامه على قدر الحاجة أُصيبت غرّته وكثرت عثرته . وأن يتجنّب المخاط والبصاق على الجملة والإطلاق ، والسعال والعُطاس على قدر ما استطاع وأطاق . فإنّ أجلّ ما يكون الإنسان في عين صاحبه ، إذا كان شخصاً صَمْتاً ، وجسماً صَدًى ، ولا يخرج منه شيء كالبصاق والمخاط ، ولا يدخل اليه شيء كالطعام والشراب ، ومتى استرسل في ذاك مع سلطانه ، ذهبت بهجته مِن عينه وقلبه ، وظهرت نَبْوَته[٤٧] في طَرْفه ولَفْظه . فأمّا الثانية فتجوز مع الإخوان والجلساء ، وتُحْرَم مع الأصحاب والرؤساء . وأمّا الأولى فَتُحْرم مع الكلّ وتقبح مع الجميع . وأن يتحرّز مِن الحاجة الى

(٤٧) النَّبوة : الجفوة .

استثبات الخليفة في أمر يأمره به ، أو قول يورده عليه بفضل الإصغاء والإصاخة[٤٨] الى ما يخاطبه به ، فانّه بين ألّا يفهمه فقد استعجم عليه ما يُراد منه أو يستعيده فقد كَلّفه مِن الإعادة ما فارق فيه الآداب اللائقة ، وأن يتجنَّب إيرادحكاية تُسْتَمْحل[٤٩] أو لفظ يُسْتَرْذَل »[٥٠].

فمن طريف ما روي في هذا الباب « انّ بعض وزراء البلاد التي لا يعرف أهلها النَعام ، وَصَف لصاحبه [أي الملك] طائراً يبتلع الجمر والحديد الذي توقد عليه النار وعَنَى النَعام[٥١] ، فكَذَّب قوله واستبعد أن يكون صادقاً فيه ، وانّ الوزير خرج مِن بين يدَيْه واجماً ممّا سمعه منه ، منكسراً بما قابله به . ثمّ أنفق المال الكثير وغَرِم الغُرْم الثقيل في طَلَب النَعام وحمله الى ذلك البلد ، حتّى إذا حُمِلت منه عِدَّة بعد الكُلْفة الشديدة ، ماتت في الطريق ، فلم يسلم منها إلّا واحدة ، وأحْضَرَها الوزير للملك ، وأحضر الجمر والحديد حتّى ابتَلَعَتْهُ ، فلمّا رأى الملك ذلك ، وشاهد سرور الوزير به وبدفعه عن نفسه ما دفعه فيه ، قال له : انّ جهلك عندي اليوم أكثر منه عند حكايتك ما حكيتَ ودعواكَ ما ادَّعيتَ ، لأنّه ينبغي للعاقل ألّا يُحَدِّثَ حديثاً ينكره السامع ، ويحتاج في الدلالة عليه الى مثل ما تَكَلَّفْتَهُ من الفعل والغُرْم ، أوَ لَيْس لو ماتت هذه النعامة الباقية

---

(٤٨) يقال أصاخ إصاخةً له واليه : أصغى واستمع .

(٤٩) أي فيها امور غير مُستَحبّة : مكر وكيد وبهتان وخديعة وسعاية .

(٥٠) (« رسوم دار الخلافة » ص ٣٤ ــ ٣٥) .

(٥١) انظر : (« الحيوان » للجاحظ ، ٤ : ٣١٠ وما يليها) ، (« عيون الاخبار » ٢ : ٨٦) ، (« وفيات الاعيان » ٢ : ٥٠٦) ، (« حياة الحيوان الكبرى » ٢ : ٤١٣) .

لتحقّق عليكَ الكذب وخسرتَ المال والتعب ، ولو منعتَ لسانكَ ما كنتَ غنياً عنه ، لكفيتَ ما وقعتَ فيه »[٥٢].

« وسبيل الانسان أن يكفّ لسانه عن غيبة سلطانه أو الغيبة عنده . فانّه بين أن يبلغه ما قال فيه فيحفظ عليه إنْ لم يُسْخِطْهُ سَخْطاً يدعوه الى بطشه به ، أو يتصوّره فيما قال عنده بصورة مَن ساء بمحضره . أمّا لشرّ غَلَب عليه طَبَعه أو حَسَدٍ استكنّ في صدره . وقال المأمون صلوات الله عليه لحُمَيْد[٥٣] الطُوسِيّ : إنّ الصديق يُحَوَّل بالجفاء عدوّاً ، والعدوّ يُحَوَّل بالصلة صديقاً . وأراك رطب اللسان بعيوب إخوانك ، فلا تَزِدْهم في أعدائك . والعاقل قليل الغَيْب ما كان الغَيْب عارف بنفسه ، وما اعتادت نفسي غيبة ولا ريبة »[٥٤].

ومِن آداب الخدمة : « وأجْرِ أمورَكَ على ما يكسب الدعاء لنا ، لا علينا . واعلم انّها مدّة تنتهي ، وأيام تنقضي ، فإمّا ذِكْر جميل ، أو خِزي طويل . وقد يجوز أن يريد السلطان أمراً ، والرأي ينافيه ، أو يكره شيئاً ، والصواب يقتضيه . وليس مِن حكم الأدب أن يراجع بإقامة حجّة ، واستيفاء مناظرة ، أو يُكاشف بردّ إرادة واستعمال مضادّة ، فانّ ذلك يدعو الى توغّر الصدور ، واللجاج في الأمور . وعليك بالإشارات اللطيفة ومعاريض القول الخفيفة ، وإيراد الأحاديث المشاكلة ، ووضع الموضوعات المقاربة »[٥٥].

---

(٥٢) (« رسوم دار الخلافة » ص ٣٥ ـ ٣٦) .

(٥٣) من كبار قُوّاد المامون . مات ببغداد سنة ٢١٠ هـ (= ٨٢٥ م) .

(٥٤) (« رسوم دار الخلافة » ص ٣٧) .

(٥٥) (« رسوم دار الخلافة » ص ٤٦) .

« وإيّاك وإعادة حديث تسمعه ، أو إفشاء سِرّ تُسْتَوْدَعه . فقد قيل انّ السلطان يغفر كل ذَنْب إلّا ما كان مِن إفشاء حديث ، أو فساد حُرَمِه ، أو قَدْح في دولة[٥٦]... وما زال جُرْح اللسان كجُرْح اليد[٥٧] ، وزَلّة القول كزَلَّة الفعل ، وعَثْرَة الكلم كعثرة القدم . فاحذر أن يكون تَقَرُّبكَ الى السلطان أو وزيره بخيانة صاحبك ، مقدّراً انك تَحْظَى بذلك عنده ، فربّما كان فيه فساد أمركَ معه »[٥٨].

« وإنْ اتّفق للسلطان أن يقول قولًا مَلْحُوناً ، أو يَرْوي حديثاً مدفوعاً ، أو ينشد شِعراً مكسوراً ، لم يكن لمَن يحضر مجلسه مِن حُرَمه وذوي أُنْسِه ، فضلًا عن أهل الحشمة ومَن لا تعلّق له بخصوص الخدمة ، أن يَرُدّ ذلك مواجهاً ومصرّحاً ، بل يُعَرّض به مُشيراً ومُلَوِّحاً ، ويُورد فيه مِن النظائر والأشكال ما يكون طريقاً الى

---

(٥٦) نسب بعضهم هذه المقولة الى ابي جعفر المنصور : (« المحاسن والاضداد » ص ٢٨) ، (« تاريخ الطبري » ٣ : ٤٢٥) ، (« المحاسن والمساوىء » ص ٤٠٢) ، (« تذكرة ابن حمدون » ص ٥٢) ، (« نهاية الارب » ٦ : ٨) .
ويعضهم الى المامون : (« العقد الفريد » ١ : ١٤ ، ٧٧) ، (« مروج الذهب » ٧ : ٧) ، (« خلاصة الذهب المسبوك في سِيَر الملوك » ص ١٣٩) .
وطائفة نسبتْها الى الملك او السلطان : (« التاج » ص ٩٤) ، (« آداب الصحبة وحسن العشرة » ص ٨١) ، (« محاضرات الادباء » ١ : ١١٨) ، (« آثار الأُوَل » ص ١١١) .

(٥٧) القول : لامرىء القيس . انظر : (« عيون الاخبار » ٢ : ٢٣) ، (« العقد الفريد » ٢ : ٤٤٥ ؛ ٣ : ٨١) .

(٥٨) (« رسوم دار الخلافة » ص ٥١) .

معرفة الصواب . فأمّا ما عسى أن يكتبه السلطان بيده ، ويسهو في شيء مِن إعرابه أو لفظه ، فعلى وزيره أو كاتب رسائله أن يُصْلِحه سِرّاً لا جهراً ، فانَّ في ذاك تأديةً للأمانة في النصيحة وحراسة لصاحبه مِن ظهور العَيْب والنقيصة »[٥٩].

وقيل في آداب الخدمة انّه « ليس مِن العادة أن يُذْكَر أحد بحضرة الخليفة بكنيته[٦٠] ، إلّا مَن شَرَّفه بالتكنية وأَهَّلَهُ لهذه الرُّتْبَة ، ولا باسم الخليفة إنْ وافق اسمَهُ اسمَهُ »[٦١].

وقيل أيضاً : « إنْ دَعَت الحاجة الى ذِكْر شيءٍ يوافق اسم حُرمةٍ للسلطان وما لا تجوز المواجهة به[٦٢] ، أو تقع الطِّيَرَة[٦٣] منه ، أوْرَد ذاك باسم مستعار . وتَجَنَّب في هذا ما ينبو عن القلوب والأسماع[٦٤]، كفعل عبدالملك[٦٥] بن صالح ، وقد أهْدَى الى الرشيد وَرْداً ، فانّه كَتَب : (قد أنفذتُ الى حضرة أمير المؤمنين وَرْداً مِن بستانه في داره التي أسكُنَها ، في طبقٍ مِن قضبان) . فلمّا قُرِىءَ ذلك على الرشيد ، قال أحد الجلساء : ما أبرد قوله في قضبان !

---

(٥٩) (« رسوم دار الخلافة » ص ٥٢) .

(٦٠) (« العقد الفريد » ٢ : ٤٦١ ـ ٤٧١) .

(٦١) (« رسوم دار الخلافة » ص ٥٧ ـ ٥٨) .

(٦٢) انظر : (« نشوار المحاضرة » ١ : ١٩٣ ـ ١٩٤) ، (« الاغاني » ٥ : ١٧٤ ؛ ط. بولاق) .

(٦٣) الطِّيَرَة : ما يتشاءَم به من الفال الرديء .

(٦٤) (« العقد الفريد » ٢ : ٣٠٠ ـ ٣٠٢) .

(٦٥) من أكابر رجالات بني العباس . ولّاه الرشيد المدينة ، وقيادة الصوائف . وولّاه الامين الشام والجزيرة . مات سنة ١٩٦ هـ (= ٨١٢ م) .

فقال الرشيد : إنَما كَنَّى به عن الخَيْزُران الذي هو اسم أُمّي[٦٦] ، وقد مَلَح في الإستعارة وأجْمَل الأدب في هذه العبارة[٦٧]! فاستُمْلِح ذلك ، بعد أن استُقْبِح ، واستُحْسِن بعد أن استُهْجِن . وكقول الفَضْل[٦٨] بن الربيع ، وقد سأله الرشيد ، صلوات الله عليه ، عن شجرة خِلاف ، وقال له : ما هذه ؟.. فقال : وفاق يـا أمير المؤمنين »[٦٩].

« وهذه أمور وإنْ قَلَّت وصَغُرت ، فلها تأثير في الصُّدور ، وموقع مِن استشعار السوء أو السرور . وسبيل الحازم أن يَتَيَقَّظ فيها ، ويَتَحَفَّظ منها »[٧٠].

وقد قيل في آداب الخدمة : « وإيّاك وأن يدعوك أُنْسُكَ بالسلطان ، وانبساطكَ معه الى التقصير به ، أو الإدلال عليه . وخُذْه في المعاملة باستشعار الهيبة ، واستعمال المراقبة ، وزِدْه

---

(٦٦) الخَيْزُران بنت عطاء : زوجة المهدي ، وأمّ ابنيه الهادي والرشيد ، توفيت ببغداد سنة ١٧٣ هـ .

(٦٧) وردت هذه الرواية في : (« مروج الذهب » ٦٠ : ٣٥٣ ـ ٣٥٤) ، (« فوات الوفيات » ٢ : ١٣) ، (« محاسن الملوك » ص ٢٩ ، خ) . ثم انظر : (« التاج » ص ٨٥ ، ح ٣) ، (« مطالع البدور » ٢ : ١٣٦) .

(٦٨) أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس : حاجب المنصور والمهدي والهادي والرشيد . استوزره الرشيد . واستخلف الامين ، فاقرّه في وزارته . كان خبيراً باحوال الخلفاء وآدابهم . مات سنة ٢٠٨ هـ .

(٦٩) (« رسوم دار الخلافة » ص ٥٩ ـ ٦٠) . وانظر : (« الفخري في الآداب السلطانية » ص ٢٤٢ ؛ ط. باريس) .

(٧٠) (« رسوم دار الخلافة » ص ٦٤) .

مِن الإعظام والكرامة ، مع تأكّد الحُرْمة وتمادي المصاحبة[71] . ودع التَبَجُّح بكفاية إنْ كانت فيك ، أو المطالبة بما تقتضيه أمالك ، ودواعيكَ ، فانَّ زيادة الدالَّة مَفْسَدَة للحُرْمة ، ومُواصلة الإستزادة مجلبة للبغضة . وقد حُكي انّ المأمون ، صلوات الله عليه ، عرض على المُعَلَّى بن أيّوب عَمَلًا يُقلِّده إياه ، فاستعفاه منه . فقال له : الخائن أسْهَل أمراً عليَّ مِن الأمين ، لانّه لا يُدِلّ ولا يَتَسَحَّب . وقال المنصور ، صلوات الله عليه في أبي مسلم[72]، أدَلَّ فأَمَلَّ وأَوْجَفَ فأَعْجَفَ . وقال في خطبته يَذْكُرُه : ولم يمنعنا وجوبُ الحقّ له ، مِن إيجاب الحقّ عليه »[73].

---

(٧١) قال بعض العقلاء : مَثَل السلطان كمَثَل النار ، فلا تقرب منها قرباً تباشر فيه لهبها ، ولا تبعد عنها بعداً تفقد معه ضوءها .

(٧٢) هو ابو مسلم الخراساني . قُتل سنة ١٣٧ هـ (= ٧٥٥ م) .

(٧٣) (« رسوم دار الخلافة » ص ٦٤ ـ ٦٥) . وانظر : (« تاريخ الطبري » ٣ : ٤٣٣) ، (« مجمع الامثال » ص ٣١٨) ، (« مواسم الادب » ٢ : ١٢٠) ، (« جمهرة خُطَب العرب » ٣ : ٢٦ ـ ٢٧) .

٣ . آداب مُسايَرة الخلفاء العبّاسيين في المواكب[٧٤]

قال هلال بن المُحَسِّن الصابىء : « حدّثني ابراهيم[٧٥] بن هلال جدّي ، فيه بما قال : حدّثني سِنان[٧٦] بن ثابت جدّي [لأمّي] ، قال : كان والدي ثابت[٧٧] مِن أعْرَف الناس برُسُوم خدمة الخلفاء ، فكنتُ أراه في أسفاره مع المعتضد بالله[٧٨] ، صلوات الله عليه ، إذا استدعاه الى مُسايرته وأمَرَهُ بمحادثته ، يخرج عليه في

---

(٧٤) (« رسوم دار الخلافة » ص ٨٦ ـ ٨٩) . وقد تناول غير واحد من الكَتَبة والمؤرّخين هذا البحث بإسهاب . راجع : (« التاج » ص ٧٢ ، ٧٧ ـ ٨٣) ، (« عيون الاخبار » ١ : ١٩ ـ ٢٧) ، (« العقد الفريد » ١ : ٢١ ؛ ٢ : ٤٣١ ـ ٤٣٢) ، (« مروج الذهب » ٧ : ١٠٩ ـ ١١١) ، (« المنهج المسلوك في سياسة الملـوك » ص ٧١ ـ ٧٢) ، (« المحـاسـن والمسـاوىء » ص ٤٩٤ ـ ٤٩٧) .

(٧٥) أبو اسحاق الصابىء ، صاحب « الرسائل » المشهورة ، توفي ببغداد سنة ٣٨٤ هـ (= ٩٩٤ م) .

(٧٦) أديب فاضل ، مؤرّخ ماهر . بضاعته الطبّ ، خَدَم المقتدر ، ثمّ القاهر ، والراضي ، أسْلم على يد القاهر ، توفي ببغداد سنة ٣٣١ هـ .

(٧٧) ثابت بن قُرّة ، توفي ببغداد سنة ٢٨٨ هـ . قال القفطي (« تاريخ الحكماء » ص ١١٥ ـ ١١٦) : « ... بلغ ثابت بن قرّة هذا ، مع المعتضد ، أجلّ المراتب وأعْلَى المنازل ، حتى كان يجلس بحضرته في كل وقت ، ويحادثه طويلاً ، ويضاحكه ، ويقبل عليه دون وزرائه وخاصّته » .

(٧٨) خلافته : (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ = ٨٩٢ ـ ٩٠٢ م) .

المسايرة حتّى يكون كالسابق له قليلّا . فظننتُ أولّا انه فعل ذلك سهواً ، الى أن كثُر كثْرةً علمتُ بها انه متعمّد له . فسالتُه عن السبب فيه . فقال لي : يا بُنيّ ، انّ مِن الادب الماخوذ على مَن أَهَّلَهُ الخليفة لمسايرته ومطاولته في مواكبه ، أن يكون مركوبه مختاراً سليماً مِن المعايب التي تعرض في المسايرة ، فانّه إنْ كان كثير اللُعاب ، أو كثير العبث برأسه ، أو مداوماً للصّهيل والشغب ، أو معتاداً للجِران والتحصُّن ، لم يصلح أن يُساير الخليفة على مثله ، ولأجْل ذاك يختار الاتباع مُسايرة رؤسائهم على البغلات الطاهرات الأخلاق . نعم ، ومِن أدب المُسايرة للخلفاء والكبراء ، أن يكون التابع سائرٌ مِن تحت الريح ، ليكون الرئيس في أعلاها ، فلا يتأذّى بالغبار الذي يثيره الحافر ، ولا بروائح الروث ، وأن يأخذ أيضاً الجانب الذي يُقابل الشمس ، ليكون الخليفة والرئيس الذي يسايره مستدبراً لها ، وأن يخرج عليه في المسايرة شيئاً يسيراً ، كما تراني أفعل ، ليكون هو الملتفِت اليه ، ولا يكلّفه الإلتفات ، حتّى إذا انقضى ما يخاطب فيه ، وأراد التباعد عنه ، تقدّم وكان في أوائل موكبه متى احتاج اليه ، استدعاه مِن أمامه ، ولم يتجشّم التوقّف على انتظاره »(٧٩).

وأخبار « مُسايرة الخلفاء » كثيرة طريفة . نكتفي ها هنا بواحدٍ منها . فقد ذُكِر عن سعيد(٨٠) بن سَلْم ، انّه « بينا هو يُساير

---

(٧٩) (« رسوم دار الخلافة » ص ٨٦) ، (« التاج » ص ٧٧ وما يليها) .

(٨٠) سعيد بن سلْم بن قُتيْبة بن مسلم الباهلي ، كان بمنزلة عظيمة من الهادي ومن الرشيد بعده ، استعمله الرشيد على الموصل ، ثمّ على الجزيرة ، ثمّ على إرمينية .

موسى [الهاديَ][81] أمير المؤمنين ، وعبدالله[82] بن مالك [الخُزاعي] أمامه ، والحَرْبة في يده ، فكانت الريح تسْفي الترابَ الذي تثيره دابّة عبدالله في وجه موسى ، وعبدالله لا يشعر بذلك ، وموسى يحيد عن سَنَن التراب . وعبدالله في خلال ذلك يلحظ موسى وموضِعَهُ ، فيطلب أن يحاذيَهُ . فاذا حاذاه ، ناله مِن ذلك التراب ما يؤذيه . حتّى إذا كثر ذلك مِن عبدالله ، ونال موسى أذَى ذلك التراب ، قال لسعيدٍ : أمَا ترى ما نَلْقَى من هذا الخائن في مسيرنا هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! والله ما قَصَّرَ في الاجتهاد ، ولكنّه حُرِمَ حَظّ التوفيق »[83].

٤ . قوانين الحِجابة - بدار الخلافة العبّاسية ببغداد - ورُسُومها[84]

الحِجابة : حِفْظ باب الخليفة أو الملك أو الوزير ، والإستئذان للداخلين عليه ، ويُقال لمَن يتولّاها : الحاجِب .

والحاجِب « هو في أصل الوضع عبارة عمَّن يُبَلِّغ الأخبارَ مِن الرعيَّة الى الإمام ، ويأخُذُ لهم الإذنَ منه . وهي وظيفة قديمة الوضع ، كانت لابتداء الخلافة . فقد ذكر القضاعي في (عيون

---

(٨١) خلافته : (١٦٩ - ١٧٠ هـ = ٧٨٥ - ٧٨٦ م) .

(٨٢) صاحب الشرطة في ايام المهدي فالهادي فالرشيد ، وكان من أكابر القُوّاد ، تولّى إرمينية وأذربيجان .

(٨٣) (« التاج » ص ٨٠ - ٨١) ، (« العقد الفريد » ١ : ٢٧٦) ، (« المحاسن والمساوىء » ص ٤٩٧) .

(٨٤) (« رسوم دار الخلافة » ص ٧١ - ٧٩) .

المعارف) لكلّ خليفة حاجباً مِن ابتداء الامر والى زمانه ... وسمّي الحاجب بذلك لانّه يحجب الخليفة أو الملك عمَّن يدخل اليه بغير إذن »[٨٥].

وقد قيل انّ « حاجبك هو عينك ، وإنْ سُمِّي حاجباً ، ووجهك الذي تلْقَى به إذا كنتَ غائباً . فاختَرْ مَن يكون مُتَخيِّرا في المقال ، مُتَحلِّياً بحُسْن الفعال ، مُجزِياً في جميع الأحوال ، لا يلتفت الى دنيا دينه ، ولا يخونك أمانته ، ولا تمتدّ يمينه ، ولا يقول عنكَ ولا عن نفسه إلّا ما يَزينُك ويزِينُه ، ولا يخِفُّ الى ما تخِفُّ به موازينُهُ »[٨٦].

و « سبيل الحاجب ، أن يكون نَصَفاً[٨٧] مُكتهلاً[٨٨] ، قد أحْكَمَتْهُ الأمور وحَنَّكَتْهُ ، أو شيخاً متماسكاً قد عجمته الدُّهور وعركته . وله عقل وحَزْم يَدُلّانه على صواب ما يأتي [وما] يَذَر . فهو صَبْحان[٨٩] له مسالك ما يورد ويصدر ، وأن يُرتِّب الحواشي فيما يَتولَّوْنَهُ ترتيباً لا يجاوز بكلّ منهم فيه حَدّه ، ولا يُحَمّله ما لا يُطيقهُ . ثمّ يُراعيهم مراعاةً تدعوهم الى التحرّز في الأفعال والتحفّظ في الأعمال ، ومداومة الخدمة مِن غير إخلال[٩٠] ، وملازمة

---

(٨٥) («صبح الاعشى » ٥ : ٤٤٩ ـ ٤٥٠) .

(٨٦) (« صبح الاعشى » ١٠ : ٤٣٢) .

(٨٧) أي متوسّط العمر .

(٨٨) مَن كان بين الثلاثين والخمسين مِن عمره .

(٨٩) أي صبيح الوجه .

(٩٠) قال المنصور للمهدي : لا ينبغي أن يكون الحاجب جهولاً ، ولا عيياً ، ولا غبياً ، ولا ذهولاً ، ولا متشاغلاً ، ولا خاملاً ، ولا محتقراً ، ولا جهماً ، ولا عبوساً .

الحشمة مِن غير استرسال »[٩١].

وما وَرَد مِن أخبار الحجّاب ، ونوادرهم شيء لا يُحَدّ . وانّنا ننقل ها هنا طرفاً منها ، ففيها أمور مستملحة ، وعظات بليغة .

قال هلال الصابىء : « حدّثني ابراهيم بن هلال جَدّي ، قال : حدّثني جعفر[٩٢] بن وَرْقاء الشيباني ، قال : كنتُ في أيّام المعتضد ، رحمة الله عليه ، مع نظرائي مِن أولاد الأمراء والقُوَّاد ، مَرْسُومين بالمُقام في الدار[٩٣]، على رَسْم الخِدْمة بنوائب كانت لنا . وكنّا نجتمع في حجرة نستريح فيها بعد إنقضاء الخِدْمة وانصراف الموكب ، فَنَنْزَع خفافنا ، ونَضَع عمائمنا عن رؤوسنا[٩٤] ، ونلعب

وقال سهل بن هارون للفضل بن سهل : اتّخذ حاجبك سهل الطبيعة ، معروفاً بالرأفة ، مألوفاً منه البرّ والرحمة . وليكن جميل الهيئة حسن البسطة ، ذا قصد في نيّته وصالح أفعاله ، ومُزه فليضع الناس على مراتبهم ، وليأذن لهم في تفاضل منازلهم . انظر : (« رسائل الجاحظ » ص ١٥٩ ـ ١٦٠) .

(٩١) (« رسوم دار الخلافة » ص ٧١) .

(٩٢) شاعر كاتب ، من بيت إمْرَة وتقدّم وآداب ، اتصل بالمقتدر ، وتقلّد عدة ولايات ، مات سنة ٣٥٢ هـ .

(٩٣) يعني « دار الخلافة العباسية ببغداد » .

(٩٤) راجع ما كتبناه بعنوان : « نَزْع العمائم في دُور الخلفاء والامراء والسلاطين وبحضرتهم » : (مجلة « الرسالة » ١٠ [القاهرة ١٩٤٢] ع ٤٥٣ ، ص ٣١٠ ـ ٣١١) .

و : « العمائم : رُسوم لبْسها ونَزْعها في دور الخلفاء والامراء والسلاطين وبحضرتهم » : (مجلة « الثقافة » ٦ [القاهرة ١٩٤٤] ع ٢٨٥ ، ص ١٦ ـ ١٩) .

بالشِطْرَنج والنَرْد . فاطَّلَع علينا أحد أصحاب الأخبار[٩٥] في الدار ، فكتب بخبرنا الى المعتضد بالله ونحن لا نعلم . فلم يبعد أن خَرَج خادم صغير مِن خواصّ الخدم ، وفي يده الفصل المرفوع في أمرنا ، وعلى ظهره توقيع بخطّ المعتضد بالله رحمة الله عليه ، حكايته : (يَستَتَضفِعُونَ وما لهم مِن صافح) . فسلّمه الى خفيف السَمَرْقَنْدي الحاجب[٩٦]، وصنع الله لي أن لم يكن ذلك في يوم نَوْبَتي ، فحين وقف على الفصل والتوقيع ، انزعج ونهض ، واستدعى مَن كان في النَوْبَة ، فضَرَب كلّ واحدٍ منهم عدّة مقارع . فما رُئي بعد ذلك إلّا لازمٌ للتوفّر على الخدمة ، متجنّبٌ للتبذُّل »[٩٧].

وممّا يناسب هذه الحكاية ، ما ذكره الشابشي[٩٨]، في أخبار اسحق[٩٩] بن ابراهيم الطاهري ، قال : « وذكر عبدالله بن خرداذبه ، انّه خرج يوماً مِن بين يديّ المأمون في أثر اسحق بن ابراهيم ، حتّى إذا صار الى الدهليز الثاني ، وقف ، ووقف القُوّاد والناس لوقوفه . ثمّ قال : (أين خليفة عليّ بن صالح[١٠٠]؟) ،

---

(٩٥) أصحاب الاخبار : الجواسيس .

(٩٦) مِن مشاهير الحُجّاب في أيّام المعتضد بالله والمكتفي بالله .

(٩٧) (« رسم دار الخلافة » ص ٧١ ــ ٧٢) .

(٩٨) ابو الحسن عليّ بن محمد المعروف بالشابشتي ، مؤلّف كتاب « الديارات » ، توفّي سنة ٣٨٨ هــ (= ٩٩٨ م) .

(٩٩) هو ابن أخي طاهر بن الحسين ، كان المامون اصطنعه وولّاه خلافة عبدالله بن طاهر بحضرته لمّا أخْرج عبدالله الى خراسان ، وكان أشدّ الناس تقدّماً عنده واختصاصاً به ، توفّي سنة ٢٣٥ هــ (= ٨٤٩ م) .

(١٠٠) هو المشهور بــ « صاحب المُصَلّىٰ » ، كان كاتباً راوياً ، ولّاه الامين على ديوان رسائل ابنه موسى ببغداد ، مات سنة ٢٢٩ هــ

وكان عليّ ذلك الوقت صاحب أمر الدار والمرسوم بالحَجَبة . فأُتي بخليفته ، فضربه مائة مِقْرَعَة ، ثمّ قال : (الحَبْس) . ثمّ دَعا بعليّ بن صالح ، وبصاحب البريد ، وقال لهما : (تقلِّدان خلافتكما في دار الخليفة مَن يضيع الأمور ويهملها ؟ كنتما بهذا الادب أحقّ مِن هذين) . فقالا : وما كان مِن أمرهما الذي أنْكَرْتَهُ ، أيها الأمير ؟ فقال : (صاحب بريد يقعد في دار الخليفة ، فيضحك ويقهقه ، وصاحب الدار جالس لا ينكر ؟) ثمّ خرج . قال : فكنتُ أدخل الدار بعدها ، فلا أرى فيها ضاحكاً »[١٠١].

وكان الحجّاب متشدّدين في مراعاة قوانين وظيفتهم ورُسُومها ، وهم في حرز مِن وصول الأخبار الى حضرة الخليفة على أيدي أصحاب الأخبار ، إذْ انهم يلقون مِن المكروه قولًا وفعلًا

فمن ذلك ما رواه هلال الصابىء ، قال : « وحدّثني ابراهيم بن هلال جَدّي ، قال : حدّثني المُكَنّى أبا عليّ الحسن بن محمد الانباريّ ، قال : كنتُ أخطّ بين يَدَي دِلْوَيْه[١٠٢] الكاتب ، وهو يتولّى كتابة سَلامة[١٠٣] أخي نُجْح[١٠٤] المُلَقَّب في أيّام القاهر بالله

(= ٨٤٣ م) ، اخباره في (« تاريخ بغداد » للخطيب ١١ : ٤٣٧ - ٤٣٩) .

(١٠١) (« الديارات » ص ٣٩) .

(١٠٢) هو ابو محمد دِلْوَيه كاتب نَصْر القشوري الحاجب ايّام المقتدر بالله والقاهر بالله .

(١٠٣) حَجَب جماعة من الخلفاء ، منهم القاهر والراضي والمتّقي ، حتى سنة ٣٣٢ هـ .

(١٠٤) نُجْح الطُولُوني امير اصبهان ايام المقتدر بالله ، ثمّ ولّاه المقتدر الكوفة فالبصرة .

بالمؤتمن ، وسلامة إذ ذاك حاجب القاهر بالله ، وكنتُ أجلس في دهليز باب الخاصّة[١٠٥] الذي يلي دجلة مِن دار السلطان ، فأخدم صاحبي فيما يستخدمني فيه . فانّي لجالس متعلّق على دكّة هناك ، إذْ جَعَلْتُ إحدى رجليّ على الاخرى ، وكان بازائي صديق لي مِن خلفاء الحجّاب يَوَدُّني وُدّاً شديداً ، فوثب إليّ وضَرَب رجلي ضَرْبَةً مؤلمةً بعصاً كانت في يده ، فقمتُ مذعوراً . فقال : يا أبا عليّ ، اعرف لي موضع مسامحتي إيّاك ، ووالله لو انّ ها هنا مَن أتَخَوّف أن يرفع الخبر ، لما قدرتُ على مسامحتك . فقلتُ : وأيّ شيء أنكرتَ منّي ؟ وبايّ شيء سامحتني ؟ .. فقال : نحن مأمورون إذا رأينا أحداً مِن الناس كلّهم ، قد جلس في دار السلطان[١٠٦]، هذه الجِلْسة التي جَلَسْتَها ، ووَضَع إحدى رجلَيْه على الأخرى ، بأن تُجَرّ رِجْله من موضعه حتى نخرجه من حَريم الدار . ونَهاني عن المعاودة الى ذلك ، وعن أن أكشف رأسي ، أو أَتَبَذّل ، أو أمزح ، أو أرفث في شيء مِن تلك المواضع . فشكرتُه على ما عاملني به وأرشدني اليه »[١٠٧].

٥ . ضَرب الطبل[١٠٨] . بدار الخلافة العبّاسية ببغداد . في أوقات الصلوات

يقول المؤرّخون ، انّ الملوك والخلفاء ، كانوا يبالغون في إقامة الهيبة والناموس ، لأنَّ بالهيبة يُحفظ نظام المملكة ويُحرس

---

(١٠٥) أحد أبواب دار الخلافة العباسية من أسفلها ، أحدثه الطائع لله .

(١٠٦) دار السلطان اي « دار الخلافة العباسية » ببغداد .

(١٠٧) (« رسوم دار الخلافة » ص ٧٦ ـ ٧٧) .

(١٠٨) نوّه بهذا الموضوع ، طائفة من المراجع ، منها : (« تجارب الامم » ٢ : ٢٦٤) ، (« تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » =

مِن أطماع الرعيّة . فكانوا يعمدون الى ارتباط الأُسُود والفيلة والنمور ، ويضَرْب البوقات الكبار والطبول . وكلّ ذلك لإثبات الهيبة في صدور الرعيّة ، ولإقامة ناموس المملكة[١٠٩].

وشأننا ها هنا ، هو ضَرْب الطُبول والدَبادِب[١١٠]، في دار الخلافة العبّاسية ببغداد ، وكان هذا مِن الأمور المشتهرة . قال هلال الصابىء ـ وكان يوم ذاك كاتب الإنشاء بدار الخلافة ـ : « لم تجرِ العادة قديماً بأن يُضْرَب الطبل للصلوات بالحضرة لغير الخليفة ،

ص ٣٧٧) ، (« ذيل تجارب الامم » ص ١٦٧) ، (« المنتظم » ٧ : ٩٢ ، ١١٤ ؛ ٨ : ٣٠ ، ٥٧ ، ١١٩) ، (« معجم الادباء » ٥ : ١٦٤) ، (« الكامل في التاريخ » ٨ : ١٦١ ؛ ٩ : ٢١٥ ؛ ١٠ : ٧٢) ، (« مرآة الزمان » حوادث سنة ٦٠٢ هـ ، ص ٣٤٢ ، ط. شيكاغو = ص ٥٢٥ ، ط. حيدر آباد) ، (« تاريخ مختصر الدول » ص ٢٩٨) ، (« تاريخ آل سلجوق » ص ٥٢ ـ ٥٣ ، ٧٣) ، (« خلاصة الذهب المسبوك » ص ١٩١ ، (« الحوادث الجامعة » ص ٩٣) ، (« تاريخ ابي الفداء » ٢ : ٩٤) ، (« رحلة ابن بطّوطة » ١ : ٤٢٣) ، (« مقدمة ابن خلدون » ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ ، مط. التقـدّم ـ القـاهـرة) ، (« خطط المقريزي » ٣ : ٣٤٦) ، (« زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك » ص ١١٣ ، ١٢٥) ، (« النجوم الزاهرة » ٤ : ١٣٢) ، (« تاريخ الخلفاء » للسيوطي ، ص ٢٧٠) ، (« بدائع الزهور » ٢ : ٧٨) .

(١٠٩) (« الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية » ص ٢٧ ، ط. أهلورد) .

(١١٠) الدَبادِب واحدة : الدَبْداب ، وهو الطبل الكبير ، سمّي بحكاية صوته .

وإنّما أُطلِق لولاة العهود ، وأمراء الجيوش ، أن يُضرَب لهم في أوقات الصلوات الثلاث التي هي الغداة والعشاءان ، إذا كانوا في سَفَر أو بُعْد عن حضرة السلطان ، ثمّ كان الضَرْب بالطُبول لا بالدُنبلَة[١١١].

فلمّا مَلَك مُعِزّ الدولة[١١٢]، تَشوَّقَت نفسه الى الضَرْب على بابه بمدينة السلام ، وكان نازلًا في دار مؤنس المجاورة لدار الخلافة . وسأل المطيع لله[١١٣] رحمة الله عليه ، ذلك ، فلم يُجِبْه اليه مع قلّة خلافه عليه ، وقال : هذا لم تَجْرِ عادة به . وبَنَى مُعِزّ الدولة داره[١١٤] بباب الشمّاسية ، فعاود الخطاب والسؤال ، وقيل للمطيع : انّ الدار في طرف البلد ، وبحيث تكون المعسكرات . فأذِنَ له إذْناً شَرَط فيه أن لا يجاوز بالضَرْب الباب البارز الى الصحراء . فضُرِبت عنده خيمة لأصحاب الدَبادِب ، وكانوا يضربون هناك في أوقات الصلوات الثلاث المذكورة . فإنْ اتّفق أن يدخل مُعِزّ الدولة الى داره في البلد لم ينتقلوا عن مكانهم . ووَرَدَ عَضُد[١١٥] الدولة والأمر جارٍ على ذلك

---

(١١١) كذا وردت في (مخطوطة « رسوم دار الخلافة ») . ولعلّها « الدُنبُكة) . والكلمة عراقية . والدُنبُك او الدُنبُكَة : طبل صغير بوجه واحد ، وله عنق طويل ، يتابطه من يضرب عليه . هذا ما لم تكن محرّفة عن « الدُبادب » .

(١١٢) كان ذلك في سنة ٣٣٤ هـ (= ٩٤٦ م) .

(١١٣) خلافته : (٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ = ٩٤٦ ـ ٩٧٤ م) .

(١١٤) اراد بها « الدار المُعِزّية » وهي غير « دار المملكة المُعِزّية البُوَيهية » .

راجع في شانها : (« الدار المُعِزّية : من أشهر مباني بغداد في القرن الرابع للهجرة » . بقلم : كوركيس عوّاد ، بغداد ١٩٥٤) .

(١١٥) كان ذلك في سنة ٣٦٧ هـ (= ٩٧٧ م) .

لعِزّ الدولة[116] ، فسأل الطائع[117] لله الإذن له في ضَرْب الطبل على باب داره بالمُخرِّم التي هي اليوم دار المملكة[118] ، وكانت مِن قَبْل لسُبُكْتكين[119] الحاجب . ففعل ذاك . وجرت الحال عليه لمن تَقَلَّد الامر مِن بَعْدِه مِن وُلْدِه »[120] .

فأنتَ راءٍ انّ ضَرْب الطبل ، كان في بادىء الأمر مختصّاً به الخليفة دون سواه ، وكان يُحْسَب مِن « علامات سيادة الخليفة » . ثمّ تَشَوَّفت إليه سلاطين بني بُوَيْه ، فنالوا مِن الشيء بعضه ، كما مَرَّ بنا .

ثمّ ارتبك الأمر على الخلفاء وكثرت محنهم بتوالي السنين . فسأل بنو بُوَيْه الإستزادة مِن ذلك . فممّا جاء في أحداث سنة

---

(١١٦) ابو منصور بختيار المُلقَّب بـ « عِزّ الدولة » ، ولي مملكة أبيه مُعِزّ الدولة البويهي بعد وفاته . قُتل سنة ٣٦٧ هـ .

(١١٧) خلافته : (٣٦٣ - ٣٨١ هـ = ٩٧٤ - ٩٩١ م) .

(١١٨) اراد بها « دار المملكة المُعِزِّيّة البويهية » ببغداد ، وهي غير « الدار المُعِزِّيّة » ببغداد ، وغير « دار المملكة السلجوقية » ببغداد ، التي سمّيت ايضاً « دار السلطنة » .
كانت « دار المملكة المُعِزِّيّة » في الجانب الشرقي من بغداد على شاطىء دجلة ، وموضعها حيث اليوم أرض الصرافية ، بين الجسر الحديد والعيواضية .
والظاهر ان نهاية هذه الدار ، كانت في سنة ٥٨٣ هـ (= ١١٨٧ م) .

(١١٩) ابو منصور سُبُكْتكين الملقّب « نَصْر الدولة » : حاجب مُعِزّ الدولة البُوَيْهي وقائد جيشه ، مات في سنة ٣٦٤ هـ . ترجمته وأخباره في (« المنتظم » ٧ : ٦٧ ، ٧٦ - ٧٧) .

(١٢٠) (« رسوم دار الخلافة » ص ١٣٦ - ١٣٧) .

٤١٨ هـ ، أن تَقدَّمَ جلال[١٢١] الدولة البُوَيْهي ، بأن يُضْرَب الطبل على باب داره ـ دار المملكة ـ ، « في أوقات الصلوات الخمس ، على مثل ما كان سلطان[١٢٢] الدولة فعله عند وروده ، وغيره مشرف الدولة بعده ، وردّه الى الرَسْم وهو في أوقات الصلوات الثلاث ، وعلى ذلك جرت العادة في أيّام عَضُد الدولة ، وصَمْصامها[١٢٣]، وشرفها[١٢٤]، وبهائها[١٢٥]. فثقل ما فعله على الخليفة لأنّه مساواة له ، وراسل في معناه ، فاحتجّ بما فعله سلطان الدولة فقيل ذلك على غير أصل ومِن غير إذن ، ولم تَجْرِ العادة بمماثلة الخليفة في هذا الأمر . ثمّ تردّد الرسائل ما انتهى الى أن قطع الملك ضَرْب

---

(١٢١) هو ابن بهاء الدولة بن عَضُد الدولة البويهي ، توفّي ببغداد سنة ٤٣٥ هـ .

(١٢٢) سلطان الدولة ابو شجاع بن بَهاء الدولة بن عَضُد الدولة البُوَيْهي ، تولّى المُلك بعد موت أبيه بَهاء الدولة ، قدم بغداد سنة ٤٠٨ هـ ، مات بشيراز سنة ٤١٥ هـ .

(١٢٣) مما جاء في أحداث سنة ٣٧٢ هـ ، عند قيام صَمْصام الدولة بالمُلك ، أنّ « رُوسِل الطائع لله في ذلك وسئل كتب عَهْد له مقرون بالخِلع والالقاب واللواء ، وإمضاء ما قلّده عَضُد الدولة من النيابة عنه ، فانْعَم بالإجابة ولقّبه صَمْصام الدولة ، وشرّفه بالعهد واللواء والخِلَع السلطانية ، وجلس صمصام الدولة جلوساً عاماً حتى قُرِىء العهد بين يديه ، وهنّأه بما تجدّد لديه » : (« ذيل تجارب الامم » ص ٧٨) .

(١٢٤) هو ابو الفوارس شيرَوَيْه بن عَضُد الدولة البويهي ، تَمَلّك بغداد بعد ابيه ، مات سنة ٣٧٩ هـ .

(١٢٥) قُبَيل وفاة شَرَف الدولة في سنة ٣٧٩ هـ ، عهد بالمُلك الى ولده أبي نَصْر فيروز . وفي تلك السنة خلع عليه الطائع لله الخلع السلطانية ، ولقّبه بهاء الدولة وضياء الملّة .

الطبل في الواحدة ، فأذن الخليفةُ في ضَرْب الطبل في أوقات الصلوات الخمس »[١٢٦].

ثمّ أفرط في هذا الأمر ، ورخص بضرب الطبل على باب دار الوزير أيضاً . ففي سنة ٦٠٢ هـ « استوزر الخليفة [الناصر[١٢٧] لدين الله] نصير الدين ناصري بن مهدي العلوي الحسني ، وخَلَع عليه خلعة الوزارة : القميص والدرّاعة والعمامة ، وخَرَج مِن باب الحُجْرة[١٢٨] ، فقدّم له فرس مِن خَيْل الخليفة ، وبين يَدَيْه دواة فيها ألف مثقال ذهب ، ووراءه المَهد الأصفر وألْوِية الحمد وطُبول النَوْبَة ، والكُوسات[١٢٩] تخفق ، والعَهْد منشور بين يَدَيْه ، وجميع أرباب

---

(١٢٦) (« المنتظم » ٨ : ٣٠) .

(١٢٧) الناصر لدين الله ، ابو العباس أحمد بن المستضيء بامر الله ، خلافته : (٥٧٥ ـ ٦٢٩ هـ = ١١٨٠ ـ ١٢٣١ م) .

(١٢٨) ذكر ياقوت الحموي في مادة « باب الحُجْرة » : (« معجم البلدان » ١ : ٤٤٤) : انه موضع بدار الخلافة « وهي دار عظيمة الشأن عجيبة البنيان ، فيها يُخلع على الوزراء ، واليها يحضرون في أيام الموسم للهناء » .

(١٢٩) الكُوسات . جَمْع الكوس ـ بضمّ أوّله ـ . ورد ذكره في كثيرٍ من المراجع العربية القديمة ، ويؤخَذ ممّا جاء فيها ، انّ له مدلولَيْن :
الأول : الطبل الذي يُتّخذ في أيام الحروب لتنبيه الناس . وقد يُتخذ لغير أوقات الحرب ، كتنبيه الناس الى بدء الصيام أو نحو ذلك . أنظر : (« مقدّمة ابن خلدون » ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ؛ ط. دار الكتاب اللبناني ـ بيروت) ، (« تاج العروس » ٤ [القاهرة ١٣٠٦ هـ] ص ٢٣٦) .
الثاني : الصنوجات من نحاس ، شبه الترس الصغير ، يُدَق باحدهما على الآخر بإيقاع مخصوص . راجع : (« صبح الاعشى » ٤ : ٩) .

الدولة مشاة بين يَدَيْه ، وضُرِبت الطُبول والبُوقات له بالرَّحْبَة[١٣٠]، في أوقات الصلوات الثلاث : المغرب والعشاء والفجر ، فقال الناس : يا ليت شعرنا ، ماذا أبْقى الخليفة لنفسه ؟! »[١٣١].

٦ ـ رَسْم دواة الوزير في دار الخلافة العبّاسية

مَتى أراد الوزير أن يكتب شيئاً بحضرة الخليفة إذا أمَرَهُ به ، فقد كانت العادة جارية بأن يكون في خُفّ الوزير أو الكاتب ، دواة لطيفة بسلسلة ، ودَرْج[١٣٢] ومَطْيَنَة[١٣٣] فيها أساحي[١٣٤] وطِين[١٣٥] . فاذا أراد أن يكتب ، عَلّق الدواة في يده اليسرى ،

---

(١٣٠) لعلّه يقصد : « رَحْبَة دار الخلافة » ببغداد . والرَّحْبَة : الفضاء بين أفنية البيوت والقصور .

(١٣١) (« مرآة الزمان » ٨ : ٣٤٢) .

(١٣٢) الدَرْج : وَرَق طويل يُلْوَى على نفسه ، ويُكْتَب فيه .

(١٣٣) المَطْيَنَة : أداة فيها طين أحمر يُخْتَم به .

(١٣٤) الأسَاحي ، جَمْع إسْحاءَة : وهي قصاصة من الورق كالسَير ، في عرض رأس الخنصر ، تُلَفّ على الكتاب ـ أي الرسالة ـ بعد طَيّه ، ثمّ يلصق رأسها . وتُتّخذ أيضاً مِن شَرَّابة إبريسم سوداء . ووردت أيضاً بصورة « سَحاة » . أنظر : (« صبح الاعشى » ٦ : ٣٥٧ ـ ٣٥٨) .

(١٣٥) في : « دُرّة الغَوّاص » و « نزهة الالباء » و « معجم الادباء » و « وفيات الاعيان » و « خلاصة الذهب المسبوك » : « ... ثم قال : كيف تقول إذا أمرتَ مَن يترب الكتاب ؟ قلت : أتربه . قال : فهو ماذا ؟ قلت : فهو مترب . قال : فمن الطِين ؟ قلت : طنه . قال : فهو ماذا ؟. قلت : فهو مطين . قال : هذه أحسن من الاولى . ثمّ قال : يا غلام : أتْرِبه وطِنْهُ وابلغ معه الى الفضل بن سهل ... » .

وأمسك الدَرْج بيده اليمنى ، وإذا فرغ ، أصْلح[١٣٦] الكتاب وأشحاه[١٣٧] ، ووَضَعَ الطِّين عليه ، وختمه[١٣٨] وأنْفذهُ .

وكان هذا الرسم جارياً ، الى أن تَغَيَّر في أيّام المقتدر بالله[١٣٩]، فانّه أمَر عليّ[١٤٠] بن عيسى الوزير ، أن يكتب بحضرته كتاباً عنه بإسقاط مال التكملة[١٤١] عن أهل فارس ، فأخْرج مِن خُفّه

وفي « المحاسن والمساوىء » بعض اختلاف في الرواية : « ... ثمّ قال : يا نَصْر ،... فكيف تقول من الطِّين ؟ قلت : طِنِ الكتاب والكتاب مطينٌ ،... » .

(١٣٦) أي يُصْلح ما لعلّه وَهِم فيه الفكر ، أو سبق اليه القلم .

(١٣٧) بعد إصلاح الكتاب ، يُطْوى . وهو أن يلفّ بعضه على بعض لفّاً خاصّاً . وللناس في صورة الطيّ طريقتان . الاولى : أن يكون لفّه مدوَّراً كانبوبة الرمح . والثانية : أن يكون طيّه مبسوطاً في قدر عرض اربعة أصابع مطبوقة .

(١٣٨) أي شدّ راس الكتاب وخَتْمه بالخاتم حتّى لا يَطّلع احد على ما في باطنه .

(١٣٩) بُويع له بالخلافة سنة ٢٩٥ هـ (= ٩٠٨ م) ، وخُلِع سنة ٢٩٦ هـ (= ٩٠٨ م) ، ثمّ أعيد الى الخلافة . وخُلِع ثانية سنة ٣١٧ هـ (= ٩٢٩ م) ، وأعيد مرّة اخرى .

(١٤٠) من أشهر وزراء الدولة العبّاسية . تولّى الوزارة في أيام المقتدر بالله والقاهر بالله . توفي سنة ٣٣٤ هـ (= ٩٤٥ م) .

(١٤١) في المئة الثالثة للهجرة ، غلب بنو الصفّار على فارس . فجلا قوم من أرباب الخَراج عنها ، لسوء المعاملة . فقرّرت الحكومة خراجها على مَن بقي . وسُمّي ذلك بـ « التكملة » . ولم تزل هذه التكملة تُستَوفى حتى أعيد افتتاح فارس سنة ٢٩٨ هـ . فتظلّم أهل فارس ، ووَرَد قوم من أجلادهم الى بغداد لرَفع ظلامتهم ، فجمع الخليفة المقتدر بالله ، مجلساً من القضاة والفقهاء والكُتّاب والعُمّال والقُوّاد ، فافتى الفقهاء ببطلان التكملة ، وصدر كتاب الخليفة بذلك سنة ٣٠٣ هـ ، راجع : (« نشوار المحاضرة » =

الدواة اللطيفة التي ذكرناها ، وعلّقها بيده اليسرى ، وأخذ الدرج باليُمنى . ورآه المقتدر بالله ، وقد شقّ ذلك عليه . فأمر بإحضار دواته ، وأن يقف بعض الخدم معه فيُمسكها حتّى يفرغ مِن كتابته . وكان أوّل وزير أُكرِم بهذا ، ثمّ صار رَسماً للوزراء بعده »[١٤٢] .

٧ . إستِسقاء الماء في دار الخلافة العبّاسية ببغداد

حكى هلال الصابىء في هذا الشأن ، انّه « ليس مِن الأدب أن يُستَسقَى الماء في دار الخلافة ، ولا مِن الرَسم أن يُسقَى ، هذا في عموم الناس . فأمّا الخَواصّ ، فربّما فُسِح لهم في ذاك على وَجْه الإكرام . والأَولى ألّا يكون » .

وقال : « حدّثني ابراهيم بن هلال جدّي ، قال : حَضَر المهلّبي[١٤٣] دار المطيع لله ، رحمة الله عليه ، لامرٍ عرض . فإلى أن يُؤْذن له ويصل ، ما استسقى ماءً . وتأخَّر الى أن دَخَلَ الى حضرته ، وخرج ونزل الى طَيّاره[١٤٤] ، ولحقه خادم معه غلام تركيّ

---

٨ : ١٢٠ ـ ١٢٨) ، (« تجارب الامم » ١ : ٢٨ ـ ٢٩) ، (« تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » ص ٢٦٨ ، ٣٤٠ ـ ٣٤٥) .

(١٤٢) (« رُسُوم دار الخلافة » ص ٦٧ ـ ٦٨) ، وراجع في هذا الشان أيضاً (« نشوار المحاضرة » ٨ : ١٢٦) . (« تحفة الامراء » ص ٣٤٢) .

(١٤٣) الحسن بن محمد المُهلّبي : استوزره مُعزّ الدولة البويهي في بغداد . عُرِف بعلوّ الهِمّة ، وحسن تدبيره أمور العراق . مات سنة ٣٥٢ وقيل ٣٥١ هـ (= ٩٦٣ م) .

(١٤٤) الطيّار . ويُقال فيه الطّيّارة . ج : الطيّارات : ضَرب من سفن النهر القديمة . أكثر ما اتُّخِذ في العراق لركوب العظماء . والظاهر انهم سمّوه بالطيّار ، لانّه من السفن الخفيفة السريعة الجريان ، كانه لسرعته يطير على وجه الماء .

وضيءُ الوجه ، حسن الثياب ، وفي يده شَرَابيّ[١٤٥] ذهب ، فيه كُوز بِلَّور ، وعليه مِنديل دبيقي[١٤٦] ، وبيده الاخرى منديل شراب . فشرب المهلّبي . فلمّا فرغ وسَلَّم الكُوز الى الغلام ، قال الخادم للغلام : امضِ مع الوزير . فقال المهلّبي : ولِمَ ذاك ؟.. قال : لأنّه لم تجرِ العادة يا سيّدي بأن يخرج عن دار الخلافة شيءٌ من هذه الأشياء ويعود اليها . وقد رُسِم لي ما فَعَلْتُ ولا قدرة لي على مخالفته . والغلام الآن عندكَ ، وما معه لكَ . وأصعد المهلّبي ومعه جميع ذلك »[١٤٧].

الخاتمة

هذا غَيض من فَيض مِن « رُسُوم الدولة ببغداد في العصر العبّاسي » ، وما بَلَغَتْه تلك « الرُسُوم » مِن شهرة ذاع خبرها في ديار المشرق والمغرب ، مَدَى أجيال متعاقبة ، كان لها عظيم الأثَر في تاريخ الحضارة العالمية الحاضرة .

---

(١٤٥) شرَابيّ : صينية يُجْعَل عليها أقداح الشراب . والذي يَسْعَى في تقديم الاقداح يُسمّى شرابياً أيضاً .

(١٤٦) الدُبِيقيّ : منسوب الى دَبيق : بلدة من أعمال مصر ، كانت تُصْنَع فيها هذه الثياب الدُبيقية الشهيرة ، تُحْمَل الى جميع البلدان .

(١٤٧) (« رُسُوم دار الخلافة » ص ٦٨ ـ ٦٩) .

اتَّخذنا الرموز الآتية ، التماساً للاختصار :

ت : تحقيق

ج : جزء ، مجلَّد

ح : حاشية

خ : مخطوط

ص : صفحة

ط : طبعة (ط١ = طبعة أولى ، ط٢ = طبعة ثانية ، الخ ...)

ظ : انظر

ع : عدد

ق : ورقة

م : سنة ميلادية

م : مجلَّة

مط ، المط : مطبعة ، المطبعة

هـ : سنة هجرية .

فهرس الكتب والمراجع

آثار الأُوَل في ترتيب الدُوَل : الحسن بن عبدالله العبّاسي ـ أَلّفه سنة ٧٠٨ هـ .

(بولاق ١٢٩٥ هـ) .

الآثار النبوية : أحمد تيمور ـ ١٩٣٠ م .

(القاهرة ١٩٥١) .

آداب الصحبة وحسن العشرة : السلمي الأزدي النَيسابوري ـ ٤١٢ هـ .

(ت : « م.ي.قسطر » . القدس ١٩٥٤) .

إخْبار العلماء بأخبار الحكماء : القفطي ـ ٦٤٦ هـ .

(ت : ليبرت ؛ ليبسك ١٩٠٣) .

أدب الإملاء والإستملاء : السمعاني « أبو سعيد عبدالكريم » ـ ٥٦٢ هـ .

الأغاني : الأصفهاني ـ ٣٥٦ هـ .

(بولاق ، دار الكتب المصرية) .

بدائع الزهور في وقائع الدهور : ابن إياس ـ ٩٢٨ هـ .

(بولاق ١٣١١ هـ) .

التاج في أخلاق الملوك : الجاحظ ـ ٢٥٥ هـ .

(ت : أحمد زكي باشا ؛ القاهرة ١٩١٤) .

تاج العروس : الزَبيدي ـ ١٢٠٦ هـ .

(القاهرة ١٣٠٦ هـ) .

تاريخ آل سلجوق : البنداري ـ ٦٤٣ هـ .

(ت : هوتسما ؛ ليدن ١٨٨٩ م) .

تاريخ أبي الفداء « المختصر في أخبار البشر » : أبو الفداء ـ ٧٣٢ هـ .

(القاهرة ١٣٢٥ هـ) .

تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ـ ٤٦٣ هـ .

(القاهرة ١٩٣١) .

تاريخ الحكماء (ظ : إخبار العلماء بأخبار الحكماء) .

تاريخ الخلفاء : السيوطي ـ ٩١١ هـ .

(القاهرة ١٣٥١ هـ) .

تاريخ الرسل والملوك (= تاريخ الطبري) : الطبري ـ ٣١٠ هـ .

(ت : دي غويه ؛ ليدن ١٨٧٦ ـ ١٩٠١ م) .

تاريخ مختصر الدول : ابن العبري ـ ٦٨٥ هـ .

(ت : صالحاني ؛ بيروت ١٨٩٠ م) .

تجارب الأمم : مسكويه ـ ٤٢١ هـ .

(ت : آمدروز ؛ القاهرة ١٩١٤ و ١٩١٥) .

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء : هلال بن المُحَسِّن الصابىء ـ ٤٤٨ هـ .

(ت : آمدروز ؛ بيروت ١٩٠٤) .

تذكرة ابن حمدون ـ ٥٦٢ هـ .

(القاهرة ١٩٢٧) .

تكملة المعجمات العربية : دوزي ـ ١٨٨٤ م .

(عربي ـ فرنسي ؛ ليدن ١٩٢٧) .

الثقافة (م ـ القاهرة) .

جمهرة خُطَب العرب : أحمد زكي صفوة .

(القاهرة ١٩٣٣) .

الحرّية (م ـ بغداد) .

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة :

ابن الفوطي ـ ٧٢٣ هـ .

(ت : مصطفى جواد ؛ بغداد ١٣٥١ هـ) .

حياة الحيوان الكبرى : الدميري ـ ٨٠٨ هـ .

(بولاق ١٢٩٢ هـ) .

الحيوان : الجاحظ ـ ٢٥٥ هـ .

(ت : عبدالسلام محمد هارون ؛ القاهرة ١٩٤٠) .

خطط المقريزي : المقريزي ـ ٨٤٥ هـ .

(القاهرة ١٣٢٤ ـ ١٣٢٥ هـ) .

خلاصة الذهب المسبوك في سِيَر الملوك : عبدالرحمن الإربلي ـ

٧١٧ هـ .

(بيروت ١٨٨٥ م) .

الدار المُعِزِّيَّة : من أشهر مباني بغداد في القرن الرابع للهجرة

ـ مقال ـ : كوركيس عوّاد .

الدراسات الأدبية (م ـ بيروت) .

دُرَّة الغوّاص في أوهام الخواصّ : الحريري ـ ٥١٦ هـ .

(استانبول « الجوائب » ؛ ١٢٩٩ هـ) .

دليل الراغبين في لغة الآراميين : يعقوب أوجين مَنَّا ـ ١٩٢٨ م .

(الموصل ١٩٠٠) .

دَنِيَّة القاضي في العصر العبّاسي ـ مقال ـ : ميخائيل عوّاد .

الديارات : الشابشتي ـ ٣٨٨ هـ .

(ت : كوركيس عوّاد . ط ٢ ؛ بغداد ١٩٦٦) .

ذيل تجارب الأمم : أبو شجاع ـ ٤٨٨ هـ .

(ت : آمدروز ؛ القاهرة ١٩١٦) .

رحلة ابن بطوطة « تحفة النُظّار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار » ـ ٧٧٩ هـ .

(ت : دفرا مري وسنكينتي ؛ باريس ١٨٩٣ م) .

الرسالة (م ـ القاهرة) .

رسائل أبي اسحاق الصابىء : أبو اسحاق ابراهيم الصابىء ـ ٣٨٤ هـ .

(ت : شكيب أرسلان ؛ بعبدا ـ لبنان ١٨٩٨ م) .

رسائل الجاحظ ـ ٢٥٥ هـ .

(ت : السندوبي ؛ القاهرة ١٩٣٣) .

رُسُوم دار الخلافة : هلال بن المُحَسِّن الصابىء ـ ٤٤٨ هـ .

(ت ؛ ميخائيل عوّاد ؛ بغداد ١٩٦٤) .

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك : خليل بن شاهين الظاهري ـ ٨٧٢ هـ .

(ت : راويس ؛ باريس ١٨٩٤ م) .

سلوك المالك في تدبير الممالك : ابن أبي الربيع .

(القاهرة ١٢٨٦ هـ) .

السِواك ـ مقال ـ : السيد محمود شكري الآلوسي ـ ١٩٢٤ م .

(نشره : محمد بهجة الأثري : مجلة « الحرية » بغداد ١٩٢٤) .

السيف في العالم الاسلامي : الدكتور عبدالرحمن زكي .
(القاهرة ١٩٥٧) .
شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : الخفاجي - ١٠٦٩ هـ .
(ط . الوهبية ؛ مصر ١٢٨٢ هـ) .
صبح الأعشى : القلقشندي - ٨٢١ هـ .
(المط الأميرية ؛ القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩) .
العقد الفريد : ابن عبد ربّه - ٣٢٧ هـ .
(ت : أحمد أمين وزملائه ؛ القاهـرة ١٩٤٠ - ١٩٥٠) .
العمائم : رُسُوم لُبْسها ونَزْعها في دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم - مقال - ميخائيل عوّاد .
الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية : ابن الطِقْطِقَى - ألّفه سنة ٧٠١ هـ .
(ت : أهلورد ؛ غوطا ١٨٦٠ م) .
(ت : درنبرغ ؛ باريس ١٨٩٥ م) .
فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي - ٧٦٤ هـ .
(بولاق ١٢٨٣ هـ) .
قانون السياسة ودستور الرياسة : أُلِف لخزانة السلطـان شاه شجاع .
(خ : في خزانة الدراسات العليا بكلية الآداب من جامعة بغداد) .
الكامل في التاريخ : ابن الاثير - ٦٣٠ هـ .

(ت : ترنبرغ ؛ ليدن ١٨٥١ - ١٨٧١ م) .

مجمع الامثال : الميداني - ٥١٨ هـ .

(القاهرة ١٣١٠ هـ) .

محاسن الملوك [وما يجب أن يتبع في خدمتهم من الآداب] : لبعض الفضلاء [من أدباء المئة الثامنة للهجرة] .

(خ : في خزانة طوب قپو ؛ استانبول) .

المحاسِن والأضداد : (المنسوب الى) الجاحظ - ٢٥٥ هـ .

(ت : فان فلوتن ؛ ليدن ١٨٩٨ م) .

المحاسن والمساوىء : البَيْهَقي - نَبَغَ في خلافة المقتدر بالله ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ .

(ت : شوالي ؛ ليبسك ١٩٠٢) .

محاضرات الأدباء : الراغب الأصفهاني - ٥٠٢ هـ .

(بولاق ١٢٨٧ هـ) .

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : سِبْط ابن الجوزي - ٦٥٤ هـ .

(ت : جيمس ريشارد جويت ؛ شيكاغو ١٩٠٧) .

(ط حيدر آباد) .

مروج الذهب : المسعودي - ٣٤٦ هـ .

(ت : دي مينار ؛ باريس ١٨٦١ - ١٨٧١ م) .

مطالع البدور في منازل السرور : الغُزُولي - ٨١٥ هـ .

(القاهرة ١٢٩٩ هـ) .

معجم الأدباء (= إرشاد الأريب الى معرفة الأديب) : ياقوت الحموي - ٦٢٦ هـ .

(ت : مرجليوث ؛ القاهرة ١٩٢٣ - ١٩٣٠) .

معجم البلدان : ياقوت الحموي ـ ٦٢٦ هـ .
(ت : وستنفلد ؛ ليبسك ١٨٦٦ ـ ١٨٧٣ م) .
مقدّمة ابن خلدون : ابن خلدون ـ ٨٠٨ هـ .
(مط التقدّم ـ القاهرة) .
(دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٥٦) .
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزي ـ ٥٩٧ هـ .
(حيدر آباد ١٣٥٧ ـ ١٣٦٠ هـ) .
المنهج المسلوك في سياسة الملوك : عبدالرحمن بن نَصْر الشَيْزري ـ ٥٨٩ هـ .
(القاهرة ١٣٢٦ هـ) .
مواسم الأدب وآثار العجم والعرب : البيتي (جعفر بن محمد السقافي) ـ ١١٨٢ هـ .
(القاهرة ١٣٢٦ هـ) .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي ـ ٨٧٤ هـ .
(ط . دار الكتب المصرية ؛ القاهرة ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦) .
نَزْع العمائم في دُور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم ـ مقال ـ : ميخائيل عوّاد .
نزهة الألباء في طبقات الأدباء : ابن الأنباري ـ ٥٧٧ هـ .
(القاهرة ١٢٩٤ هـ) .
نشوار المحاضرة : التنوخي ـ ٣٨٤ هـ .
(ت : عبّود الشالجي ؛ بيروت ١٩٧١ ـ ١٩٧٣) .

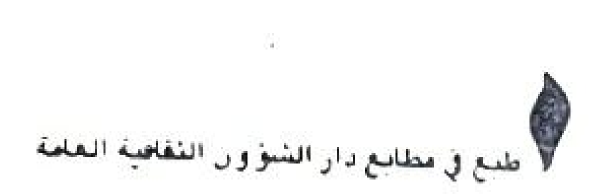
نهاية الأرب : النويري ـ ٧٣٢ هـ .

(ط . دار الكتب المصرية ؛ القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٥) .

وفيات الأعيان : ابن خلّكان ـ ٦٨١ هـ .

(بولاق « الأولى » ١٢٧٥ هـ) .

الهوامش



طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة





طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف : عبدالكريم سيفو
السعر.. ديناران

بغداد ـ ١٩٩٢

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة